اصلا ، وبالطبع ، قد لا يعبر ذلك العنصر الموقفى صراحة ، كما شاهدنا ، فكل منطوق لا يبدأ بلفظة « أنا » ، ولكن يمكن استهلال أى منطوق بكلمات من قبيل « أريد » أو « أتمنى » ، أو « الأمر » ، أو (أستنكر) أو غيرها من مئات الافعال التى تعبر ، حرفيا ، عن النوايا ، والامانى ، والمعتقدات ، والتوكيدات ، دون تغيير المعنى فى سياق معين ، بأى حال من الاحوال، ويمكننا القول بأنه ثمة تغيير محتمل لكل منطوق فى الظروف التى تبدأ بمثل : أنا . . . أن . وهكذا ، يمكننا اقتراح تفسير لعبارة « ادنى » و « محايدة » مثل اثنين واثنين أربعة ، فنقول « أحسب أن اثنين زائد اثنين يساوى أربعة ، أو بالنسبة الى : كم الساعة « أرجو أن تخبرنى كم الساعة ؟ » وبالنسبة الى : أحضر هنا لحظة ، «آمرك بالمجىء الى هنا» ، وبالنسبة الى : يجب غسل هذه السيارة بعد ظهر اليوم بقولنا أطلب أن يقوم شخص ما بغسل هذه السيارة بعد ظهر اليوم » ، وبالنسبة الى : ها هو بيل بقولنا «انتبا بأن هذا هو بيل » أو « دعنا نذهب الى السينما» بقولنا « اقترح أن نذهب الى السينما » . ثمة أفعال حديث معينة تتطلب ، فى ظروف معينة ، وصف طبيعة الفعل فى المنطوق بوضوح ، حتى يكون فعلا من هذا النوع ، ومن الناحية النمطية تكون لمثل هذه الافعال خلفية قانونية أو دينية ، وعادة ما يكون المنطوق جزءا من الطقوس والشعائر الدينية ، فمثلا ، عند ذكر أسماء المشتركين فى حفل دينى على ظهر السفينة، يشعر هؤلاء المشتركون بأن عملية ذكر الاسماء لم تستخدم الكلمات « انى اسمى هذه السفينة . . . » وبالمثل فاننا نشعر بأن الطفل لم ينصر بطريقة صحيحة فى حالة قول القس « دعنا نسميه ارشيبالد ، هلا سميناه كذلك ؟ » ويمكننا القول مع أوستن 1955 Austin (7) أن نطق صيغة لغوية محددة جزء اساسى من أداء الفعل ، هذا ، ويمكن تعميم هذه الفكرة بالنسبة للحديث برمته ، فنطق الحديث هو « أسلوب لاداء » فعل معين ، والكلام ليس فعلا فى حد ذاته ، الا اذا اعتبرنا تحريك المرء لذراعه فعلا ، فقد يكون تحريك الذراع جزءا من لعبة ضربة جولف ، أو ادارة حركة المرور ، أو دق مسمار وهلم جرا ، واذا اتبعنا مجرى المنطق هذا ، لوجدنا أن ثمة أنواعا مختلفة من أفعال الكلام ، كما أن هناك « أفعال الكلام » أو « أفعال الاداء » ، كما يسميها أوستين Austin وهذا يعنى المئات من الأفعال التى تدخل فى اطار « وانا هنا . . . أن . . . » أى أفعال الاداء .

غير أن بيانا عن وظائف اللغة ، بيان يذكر كل الافعال المسماة يعد صعب المأخذ تماما بحيث لا يجدى نفعا كبيرا ، وهنا نحتاج الى تصنيف هذه الافعال الى مجموعات تكون لها مميزات وظيفية ، وهكذا ، يجب علينا الاتفاق على أن أفعال الامر واصدار التعليمات والمطالبة واصدار الاوامر والنواهى لها صفة مشتركة وهى جعل المستمع الينا يأتى بفعل شىء ما وينتهى عن اتيان فعل ما ، اذا فلها تماثل وظيفى ، وقد نود تضمين تلك المجموعة الطلب والتساؤل والاستفهام ، وكلها تنطوى على جعل المستمع الينا يقول شيئا ، واذا اردنا تسمية هذه المجموعة من وظائف الحديث فقد نتبع أوستن Austin فى تسميتها بالافعال التوجيهية، اذ انها ترمى الى تنظيم سلوك من يستمع الينا ، أو التحكم فى بيئتنا بصفة نهائية ، عن طريق أناس آخرين ويقسم أوستن Austin كافة أفعال الحديث الى خمس فئات مختلفة ، وينبغى ألا تعوقنا المسميات التى يطلقها على تلك الفئات ، اذ أنه يعتذر عن التعبيرات الجديدة التى صاغها ، وتتركب المجموعة الأولى من الافعال التى تؤلف الاحكام على أحوال الأمور والتقسيمات ، والتقديرات ، والتخمينات ، وهى الافعال التى تعطى اضافة الى شىء ما ، حقيقة أو قيمة ، وتتركب المجموعة الثانية من الافعال على شىء من السلطة أو النفوذ أو الحق من قبيل التعيين أو التصويت أو الأمر أو النصح أو التحذير ، أما المجموعة الثالثة من الافعال فتلزم المتحدث باتيان فعل معين مثل الوعد أو التعهد أو اعلان النوايا أو الافصاح عن عقيدة أو ايمان . أما المجموعة الرابعة فتتناول السلوك الاجتماعى بصفة أساسية مثل الاعتذار وتقديم التهانى أو العزاء أو التحدى . وتتضمن المجموعة الخامسة اتخاذ موقف ازاء شىء معين مثل

(7) Austin, J.L. (1955), « How to Do Things with Words ».

المناقشة ، أو الرد أو التنازل ، أو الادعاء ، أو الافتراض .

والآن ، قد يبدو هذا النوع من التصنيف مشابها لنوع تصنيف الجمل الى خبرية وامرية واستفهامية وتعجبية ، تلك الجمل التى نألفها فى كتب النحو ، وعلى هذا فهى مشابهة الى حد ما ، اذا ما استثنينا اتسامها بالتفصيل ، وقيامها لا على تحليل صيغ لغوية فحسب بل على الغرض من استخدام هذه الصيغ أو « اعتبارها » فى مواقف الحديث الفعلية ، فمثلا : هل علينا أن نصنف الجملتين التاليتين معا : « هذا الطلاء ما زال بليلا » و « ستتلقى اجابتى غدا » لا لشىء سوى انهما خبريتا الصيغة . فى كثير من المواقف تفسر الجملة الاولى على انها تحذيرية ، وتفسر الثانية على انها وعد ، وفى الواقع يمكن اعتبار كلتا الاثنتين كتأكيد للحقيقة ، ذلك فى سياق معين ، اذا ما نطق بهما بتنغيم ملائم ، فمثلا يقال : « أؤكد أن الطلاء مازال مبللا » و « أؤكد لك انك ستتلقى اجابتى غدا » . ومع ذلك ، فالامر يتطلب شيئا من الابداع لتصور موقف يجب علينا ازاءه القول « انا أعد بأن الطلاء مازال مبللا » و « انا انذرك انك ستتلقى اجابتى غدا » الا أن أحدا لا يتصور العكس » انا أحذرك من ان الطلاء ما زال مبللا » و « أعدك بانك ستتلقى اجابتى غدا » ولو ان حقيقة امكان تصورنا هذا تعزز ما سبق لى قوله بالفعل من عدم وجود علاقة متناظرة بين مجموعة من افعال الحديث والصيغة النحوية لمنطوق ما ، وانه يبدو ان أى منطوق تقريبا يمكن ان تكون له اية وظيفة فى سياق ما وموقف ما تقريبا ، وهكذا ، ليست صيغة المنطوق هى وحدها التى تحدد كيفية تفهمنا له فحسب بل خصائص موقف الحديث برمته ، وهذا ما يجعل تصنيف افعال الحديث بطريقة نظامية وصحيحة علميا امرا جد صعب ، كذلك فانه السبب وراء لجوئنا الى حد كبير الى المعايير الخاصة بهذا الموضوع والتى تقوم على الفطرة السليمة ، وتتمثل احدى المشاكل الكبرى للغويات والتى لم تحل حتى الآن فى اكتشاف العلاقات بين السمات الصيغية للمنطوق وبين الموقف ، وهى مشاكل تؤدى الى تفسير معين للمنطوق كتحذير أو وعد أو تأكيد أو كمثال لمجموعة معينة أخرى من افعال الحديث ، ونود أن نعطى تفسيرا لتلك الملحوظة التى نسمعها بصفة عامة : « اننى ادرك ما تقوله ؛ لكنى لا أعرف ما تعنيه » والتى احيانا تختصر ببساطة لتصبح « انا لا افهمك » .

وظائف الحديث :

تكمن احدى طرق معالجتنا لهذه المشكلة فى البدء بتحليل احد مواقف الحديث ، وبادىء ذى بدء، يجب أن يكون هناك مشتركان هما انا وانت ، اى المتكلم ، والمخاطب ، أو « المرسل » و « المستقبل » ولابد من التصميم على وجود هذين المشتركين حتى فى حالة الاتصال عن طريق الكتابة ، حيث من الطبيعى الا يتواجد المشتركان جسديا فى نفس الزمان والمكان ، كذلك فكل كاتب يكتب الى أو من أجل فرد معين على الرغم من انه قد يتصور قراءه بطريقة غير محددة ، وقد سبقت لى الاشارة الى الحالة التى نتحدث فيها الى انفسنا ، ونوهت الى أن مثل هذا النشاط يتعلق ، بشكل ما ، بعمليات تفكيرنا ، أو انه ذو وظيفة تنظيمية ذاتية ، ولكن ما يعنينا هنا هو التخاطب، اى الوظيفة الاجتماعية للغة ، فالتحدث الى نفسك ليس نشاطا اجتماعيا بالنسبة للناضجين ، على الرغم من أن التمييز قد لا يكون واضحا بالنسبة للاطفال الصغار بياجيت 1926 (8) Piaget

ولكى تتم عملية التخاطب ، يجب أن يقوم الاتصال بين المشتركين ، فالقرب الجسدى بين شخصين لايقيم موقفا كلاميا ، وعلينا أن نجعل الناس منتبهين، وفى انواع أن رفض المرء الانتباه فى مواقف معينة ، عن عمد ، وما نسميه « مقاطعة شخص ما » يعتبر فعلا ذا دلالة فى حد ذاته ، هذا ، ويمكننا بطريقة مجدية التمييز بين ايجاد الاتصال و « والمحافظة على الاتصال » اذ يتم أولهما عن طريق الافعال التى تجذب انتباه المستمع ، وتوضح اننا نود الاشتراك معه نفسه ، وليس مع شخص آخر ، فى المحادثة ، وتسمى هذه الافعال « بالنداءات » من نوع او آخر ، مثال ذلك : هيا ، بيل ! ارجو المعذرة ، يا سيدى ! ويمكننا وصف

(8) Piaget, J. (1926), « Language and Thought of The Child », English edn, Routledge and Kegan Paul.

ذلك بأنه اتصال مادى ، ولكن لا ينبغى الاقتصار على ايجاد الاتصال المادى ، بل يجب فتح قناة للاتصال والحفاظ عليه ، وغالبا ما نجرى « اختيارا للقناة » بتعبيرات من قبيل : اتسمعنى ؟ ، او الحث على الحديث بقولنا « تكلم جهارا » ، الا ان الاتصال ليس ماديا فحسب ، بل انه نفسانى أيضا ، فيجب علينا الحفاظ على « الالفة » مع المستمع الينا ، وجعله مهتما وودودا او متعاونا ومستمرا فى المحادثة ونحن نفعل ذلك عن طريق ما نسميه عادة « محادثة قصيرة (لغوا) » او « المحادثة حول شؤون تافهة » مثل الطقس والاستفسار عن الصحة ، وبث المديح والتشجيع ، ونحن نختبر كذلك اتصالنا النفسانى بالمستمع الينا: « هل تفهمنى ؟ » و « هل تتابعنى بانتباه ؟ » . ونحن نساعد المستمع الينا على فعل ذلك بتنظيم حديثنا بطريقة منطقية : «اولا وقبل كل شىء» و «وما اعنيه هو . . .» و « أما نقطتى التالية فهى . . . » و « كما سبق واشرت . . . » هذا نوع من « ابراز » حديثنا .

هذا ، ولا تنشأ المحادثة او الاتصال بين الافراد فى فراغ بل فى زمان ومكان معينين ، وفى « خلفية » مادية وزمنية ، فقد يكون الافراد جلوسا او وقوفا ، ماشين أو راكبى سيارة ، وقد يكونون من بين زمرة من الناس ، او بمفردهم معا ، بين اصدقاء او غرباء فى حجرة ، أو كاتدرائية او شارع ، وقد تؤدى كل هذه العوامل دورا فيما يجرى فى المحادثة ، الا انها لاتمثل محورها . فقد يحد مكاننا ومع من نتحدث ووقت حديثنا مما نتحدث فيه وكيفية حديثنا جوله ، الا انها ، لذلك السبب ، ليست موضوع محادثتنا ، وبالطبع ؛ ثمة أماكن وأوقات للتحدث عن أمور معينة ، وكذلك أماكن وأوقات لعدم التحدث عن تلك الأمور ، فمن الواضح أن موضوع الحديث يعد عنصرا هاما فى موقف الحديث ومهما كانت وظيفة المنطوق فهى دائما وتقريبا حول شىء ما ، وستنطوى على ما اسميته بالعنصر الخبرى وقد تكون ثمة علاقة أو لا علاقة بين خلفية واقعة الحديث والعنصر الخبرى فيه ، غير انه ثمة صلة بين موضوع الحديث ومضمونه الخبرى ، حتى لو كان الحديث حول أمور خيالية بحتة مثل الجنيات او العفاريت او احاديث القرن .

وقد نوجد اتصالا مع شخص آخر ، الا اننا لا نتخاطب معه عن طريق اللغة ، ويمكن حدوث ذلك اذا كنا غير مشتركين فى تقاليد الكلام ، اى فى حالة عدم وجود نظام لغوى مشترك بيننا ، اذ تمثل السمات الشكلية للغة المشتركة بين المشتركين عاملا هاما فى موقف الحديث .

وعندما نتخاطب مع شخص ما فاننا ننقل شيئا ما ، رسالة ، وقد يحد الموقف من سبل نقلنا تلك الرسالة بطرق متعددة ، فاذا كان الموقف ضاجا صاخبا ، قد يتطلب الأمر منا الصياح ، واذا كان ممتدا ، قد يكون من الواجب علينا الاختصار ، واذا كان الموقف رسميا فعلينا انتقاء مجموعة من الكلمات التى تختلف عن الكلمات التى قد نختارها فى موقف غير رسمى ، ولكن — حتى بعد اخذنا كل تلك الأمور فى اعتبارنا — يمكن نقل نفس الرسالة بمجموعة من السبل المختلفة ، هذا ، وتعد صيغة الرسالة نفسها أحد عوامل موقف الحديث ، اذ يمكن استخدامها بحيث تنقل شيئا ما .

وقد تكون كل هذه العوامل السبعة : المتحدث، والمستمع ، والاتصال بينهما ، والمجموعة اللغوية المستخدمة ، والخلفية ، والموضوع ، وصيغة الرسالة — قد تكون كلها بؤرة فعل الحديث ، اى العنصر الذى يوجه النشاط اليه ، ويمكن ربط وظيفة مختلفة للحديث مع كل من تلك العوامل ، فاذا كان التوجيه نحو المتحدث ، فأمامنا ما سبق تسميته بالوظيفة الشخصية للغة ، فمن خلال هذه الوظيفة يكشف المتحدث عن موقفه ازاء ما يتحدث عنه ، وفى آخر الأمر يفصح لمستمعه عن شىء من شخصيته ، ولا يقتصر الامر على انه يعبر عن احساسه « من خلال اللغة » ، بل عن احساسه « بصدد » ما يتحدث عنه، ونحن كمستمعين يكون الامر اخباريا اذ نستشعر فقط ان المتحدث غاضب وحزين ، أو سعيد ، ويصبح الأمر تخاطبيا حين ترتبط حالته الانفعالية بما يتحدث عنه، اى بسبب غضبه او حزنه او سعادته .

والحديث الموجه الى المستمع هو ذلك الحديث الذى تكون وظيفته توجيهية ، وهى وظيفة التحكم فى سلوك احد المشاركين فى الحديث ، لا بقصد دفعه الى اتيان فعل معين ، أو التصرف او الحديث فحسب ، بل ليسلك سلوكا وفق خطة ما او اسلوب معين محبب للمتحدث بصفة عامة ، وقد يتم ذلك عن طريق الأمر

مثل : «عادة ما يفعل الناس هذا أو ذاك» أو «عادة أو الطلب أو التحذير أو عن طريق عبارة نصح عامة مالا يفعل الناس هذا أو ذاك» أو «يجب عليك الا تفعل هذا أو ذاك » ، عن طريق استصراخ العقوبات القانونية أو الاخلاقية المألوفة فى المجتمع .

أما عندما تكون البؤرة مركزة على الاتصال بين المشاركين فى الحديث ، فاننا نجد الحديث موظفا لاقامة العلاقات والحفاظ عليها ، والسمو بمشاعر الود والزمالة ، أو التكافل الاجتماعى ، وتتسم هذه الامور بانها ذات صيغة عظيمة ، أو من قبيل الطقوس ، الاستئذان ، والتحيات ، وابداء الملاحظات حول الطقس والاستفسار عن صحة افراد الاسرة ، كما تؤدى هذه الوظائف التى أحيانا ما يقال لها وظائف « اجتماعية »، بالحركات ، والاتصال المادى ، وتعبيرات الوجه، وكذلك بالتلويح ، أو الشد على الأيدى ، أو الابتسامات ومهمتها تلطيف « الهدف » وجعله « رقيقا » .

أما الوظيفة التوجيهية للحديث نحو الموضوع والتى يغلب تسميتها بالوظيفة « الاسنادية » ، فهى تلك التى تلوح فى عقول الناس الى حد كبير ، وهى تحقق بطريقة نمطية عن طريق العنصر الافتراضى فى المنطوق ، وكما رأينا فان هذه الوظيفة هى التى اثارت الفكرة التقليدية ونحواها أن اللغة هى المختصة بنقل الفكر ، وتنسيق العبارات حول كيفية تصور المتحدث لمجريات الامور فى العالم

والآن نصل الى الوظيفتين المرتبطتين بمجموعة نظم الحديث ورسالته ، وهما — من بعض النواحى — من اصعب الامور التى يجب الالتزام بها ؛ فحين يتخاطب الناس أحدهما الى الآخر ، يجب الا يقنعوا باقامة الاتصال بينهما فحسب عن طريق « اختبار الوسيلة » ومن قبيل ذلك قولنا : هل يمكنك الاستماع الى ؟ — غير أن الاتصال مستمر بين المتحدث والمخاطب عن طريق اختبار فهمهما المتبادل بـ « هل انت متتبع الحديث ؟ » « هل تدرك ما أقول ؟ » وهذا ما نستطيع تسميته بوظيفة التوجيه نحو الاتصال ، أما الطريقة المثلى لضمان كون الاتصال ناجحا فتكمن فى مراعاة المشتركين فيه لقواعد النظام بصورة فعلية ، فحين يشترك شخصان فى لعبة مثل « الشطرنج » فليس من الضرورى عادة التأكد — قبل بدئهم اللعب — من أنهما يتفقان على قواعد اللعبة ، لأن تلك القواعد معروفة وثابتة ولا يعتريها لبس أو ابهام ، أما حين يلعب الاشخاص « لعبة اللغة » فعليهم التأكد — بصفة مستمرة — من أنهم يلعبونها وفق نفس مجموعة القواعد وهذه هى وظيفة التعريف ، والتعريف عبارة عن بيان لقاعدة فى « لعبة اللغة » ، يدعو المتحدث المستمع الى قبولها حتى يمكن للمحادثة ان تستمر هذا ، وقد وصف العلم بانه اسلوب للتحدث عن العالم ، واذا ما نظرنا اليه بهذه الكيفية لوجدنا أن كتاب العلوم عبارة عن كتاب لقواعد لغة التحدث عن العالم ، وقد سميت وظيفة اللغة هذه بانها وظيفة ما وراء اللغة أو لغة عن اللغة ، وانها الوظيفة الرئيسية فى عمليتى التعلم والتعليم

أما عندما يكون التركيز على الرسالة ، فعلينا الاهتمام بالوظيفة التصورية للغة ، وهنا يجب علينا ان نتأكد تماما من اننا لا نخلط بين شيئين : استخدام اللغة للتعبير عن افكار اصلية أو غير معتادة ، أو آراء او مشاعر او خيالات جامحة أو اى شىء فى جعبتك ، وبين الوظيفة التصورية للغة للتعبير عما قد يكون دنيويا أو الامور الواقعية أو الترهات البحتة ، وبالطبع يحدث الامران معا وقد يكونا ملتزمين بطريقة لا فكاك منها ، ولكنى أعنى بالوظيفة التصورية للغة ذلك الشق الثانى فقد تستخدم اللغة للغة نفسها ، وللبهجة التى تبثها المتحدث بها والمستمع اليها ، فاراجيز الأطفال وطنطنتهم قد تكون بغير دلالة ، وحتى لو كانت ذات دلالة فهى تدور حول شىء غير مشوق أو هام البتة ، وتتحقق وظيفتها من خلال اصواتها وايقاعاتها وترنيماتها ، وما ذلك الا نوع من استخدام اللغة ، وظيفته تصورية فليس المقصود من « ربت الكعكة ، ، ، ربت الكعكة » اعطاء وصفة لعامل المخبز .

ويتبع التحليل الذى اوردناه فى الصفحات السابقة متابعة لصيغة ذلك التحليل الذى اورده هيمس 1968 Hymes (9) ، وليس من الصعب التحقق من مدى تلك

(9) Hymes, D. (1968), « The enthnography of speaking », in J. Fishman (ed), Readings in the Sociology of Language, Mouton.

المتابعة ، على الأقل فى نقطة معينة الا وهى : تصنيف افعال الحديث ، ومن الواضح انه ينبغى أن تكون ثمة علاقة بين افعال و ممارسة الحقوق والسلطات ، وبين الوظيفة التوجيهية للغة ، وبالمثل ، تستمر الوظيفة الاسنادية للغة ، الى حد كبير ، بواساطة تلك الافعال التى تتخذ وجهة نظر النسبية لكيفية حال امور واقعية أو افتراضية ، وفى الحالة البدائية الراهنة لمعرفتنا فى هذا المجال ، فاننا نحتاج الى كلا الاعتبارين بالرغم من التداخل الذى قد يكون قائما بينهما ، غير أن ما يؤكده الاعتباران هو أن أى منطوق مفرد قد تكون له وظائف جديدة او يمثل اكثر من فعل واحد ، فالمنطوق قد يؤكد كيفية حال امر من الامور وقد يتطلب تصرفا ما من قبل المستمع ، وقد يكون له وظيفة اسنادية ووظيفة توجيهية فمثلا اذا قيل « ائتنى بهذا الكتاب » فان ذلك « يؤكد » على وجود ومكان شىء ما ، ويضع مسمى لذلك الشىء و « يوجه » المستمع الى اتيان تصرف ما حياله ·

تعليم اللغة ووظيفتها :

اننا لا نعلم ، بوجه التاكيد ، قوى وجود كل وظائف الحديث ، التى اشرنا اليها ، فى كل الثقافات· الا انه من المؤكد ان الاهمية النسبية لهذه الوظائف المختلفة قد تختلف من ثقافة الى اخرى ، وقد يتنوع توزيع تلك الوظائف ، ففى بعض الثقافات تبدو فيها وظيفة الاتصال اللغوى ، اى استخدام اللغة لاقامة الاتصال الاجتماعى وحسن النية والحفاظ عليهما ، كأمر اكثر اهمية ، فمثلا يعتقد نفر من الناس أن التكرار النسبى للشكر يختلف فى امريكا عنه فى بريطانيا ويؤدى هذا النوع من الاختلاف الى الحكم على أن الافراد فى طبقات وبلاد وفئات اجتماعية معينة ... الخ اكثر « تأدبا » ، ففى بريطانيا ، مثلا ، لا توجد لدينا اجابة شمائرية للتعبير عن الشكر ، كما هو الحال فى امريكا اذ يقولون « مرحبا بكم » ، أو فى فرنسا اذ يقولون « أتوسل اليك » أوفى المانيا اذ يقولون « أرجوك » · الا أن هذا لا يعنى عدم وجود اجابة لفظية موافقة لمثل هذا الموقف — بل أن صيغتها قليلة التنبؤ بها · وفى بعض الثقافات يعتبر توجيه الاسئلة امرا غير مقبول فى مهام معينة ، بينما يكثر الاستخدام الشعرى للغة فى ثقافات اخرى ·

ولكى يشارك المرء فى الحياة الاجتماعية للمجتمع يجب أن يكون فى مقدوره أن يخاطب ويتلقى المخاطبة، ولهذا السبب يتعلم المتعلم لغة ما ، واذا ما تركنا جانبا حالة المتعلم الذى يدرس اللغة ببساطة كوسيلة للتقدم العلمى ثم يمضى فى اهمالها ، فأى فرد يتعلم لغة يفعل ذلك الشىء ، أو يطلب اليه فعل ذلك ، بحيث تصبح وظيفية أو ناقصة بشكل ما وهذا لا يعنى قصر نطاق الوظائف التى اشرت اليها على تلك التى تكون طوع ابناء اللغة الاصليين · هذا ويمكن الحد من وظائف اللغة الى حد كبير ، فمتعلم اللغة قد يعرف — بكل دقة — الغرض الذى يريده من وراء اللغة ، أو قد لاتكون لديه فكرة واضحة البتة ، كما شاهدنا فى الفصل الأول : نحن بحاجة الى تحديد اهداف اللغة فى اية عملية من عمليات تعليم اللغات ، ويمكن التعبير عن هذه الاهداف فى نطاق ما نود أن يتمكن المتعلم من عمله فى نهاية المقرر الدراسى ، ويمكن صياغة تلك الاهداف فى نطاق النوايا التى يجب أن يكون قادرا على نقلها ، وماهية فئات افعال الحديث التى يجب عليه تأديتها ، أو ماهية وظائف الحديث التى يجب أن يجيدها ، كما يمكننا تناول المسألة بطريقة مختلفة بتحديد ماهية الادوار التى يجب عليه أن يؤديها فى المجتمع ، فالدور الاجتماعى عبارة عن مجموعة من الحقوق والالتزامات تشغل نطاقا معينا من السلوك، محددا بوضوح تقريبا ، ويتوقف على طبيعة الدور موضوع البحث ، وفى معظم المجتمعات ، لا يندمج المتعلم فى ذلك الدور كعضو تام مع كافة الادوار المتعددة التى قد ينجزها عضو فى ذلك المجتمع أو ينتسب اليها ، ومن المحتمل أن ينسب اليه دور «الاجنبى» ولهذا الدور توقعات معينة ترتبط به ، من ذلك تسامح كبير ازاء الانحراف عن معايير السلوك المختلفة ،اللغوى منها وغير اللغوى، وكثيرا ما نسمع عن ايجاد المعاذير ازاء تصرف غريب يأتيه شخص أجنبى بكلمات من قبيل « لا يمكنك أن تتوقع منه معرفة ذلك فهو اجنبى » ، ومع ذلك فمن المحتمل جدا أن مانتوقعه من الأجانب ، اى الدور السلوكى « للاجنبى » قد يعرف بطريقة مختلفة للغاية من ثقافة الى اخرى · فمثلا ، يعتقد ، على نطاق واسع ، أن الفرنسيين يعدون اقل تسامحا من البريطانيين ازاء الانحراف اللغوى فى المتحدث الاجنبى ومن سوء الطالع اننا ما زلنا لا نعرف سوى القليل عن دور الاجنبى فى الثقافات المختلفة فيما يتعلق بالحقوق والتوقعات ، والدلالة التى لدينا انما تتسم بالقصصية والذاتية ، بينما يجد المتعلم دور الاجنبى

قد التصق به ، قد تكون هناك أدوار أخرى — مهنية : مثل العالم أو مندوب المبيعات ، أو مستقلة كما هو الحال بالنسبة مثل السائح أو الرياضي — التي قد يرغب في اتخاذها ، ومع كل من هذه الادوار ، ثمة مجموعة من وظائف الحديث التي يجب عليه اجادتها .

وفي أيامنا هذه ، هناك اهتمام كبير بمدرسي اللغة العلمية أو التقنية ، والحاجة الى تدريسها ، وسأتناول ذلك في الفصول القادمة ، ولكن قد يكون من المجدي تبني الرأي القائل أن ما ندرسه للمتعلم ليس لغة فرنسية أو المانية «علمية» ،غير أننا حتى اذا ما حددنا أهداف التدريس في نطاق أنماط المحادثة التي يعد المتعلم نفسه للمشاركة فيها ، فان فكرة وظائف اللغة تظل ملائمة . هذا وقد تركز كثير من البحث فيما يسمى « اللغة العلمية » على خصائص اللغة التي يستخدمها العلماء ، وعلى التركيبات النحوية المستخدمة وتكرارها النسبي ، وعلى طبيعة المفردات والتكرار النسبي للكلمات المختلفة (هدلستون 1971 Huddleston (10) وقد أثبت ذلك البحث أن الاختلافات بين مثل هذه المحادثة والمحادثة العلاعلمية لم تكن بالجسامة التي كان يمكن توقعها ، ولعلنا نجد أن معالجة تنطوي على تحليل اللغة العلمية في نطاق وظائفها تكون معالجة واعدة ، فقد نجد مثلا ، أنها قد تكون كما سبق واقترحنا ، شيئا وراء اللغويات بشكل غالب ، أو انه كان هناك رجحان لافعال الحديث التنبؤية أو الاسنادية وانعدام فعلي للافعال التوجيهية ، أو أن وظيفتها الشخصية او الشاعرية ضيقة النطاق ، على أن مناهج عمليات تدريس اللغة تميل الى التعبير في نطاق قائمة من الصور اللغوية المفروض حفظها ، وربما لم يلتفت واضعو تلك المناهج كثيرا الى الغرض من استخدام تلك الصور اللغوية . وكثيرا ما يسمع المرء شكاوى متكررة من المعلمين مضمونها أن المتعلمين يبدون كما لو كانوا يتقنون اللغة في حجرة الدراسة ، بينما يفشلون في استخدامها بطريقة مرضية خارجها ، وذلك يوحي بأن المتعلمين اكتسبوا وظائف الحديث الملائمة لحجرة الدراسة ، او انهم حذقوا دور « متعلم اللغة » لا غير .

هذا وسنجد صعوبة في صياغة منهج « وظيفي » بمفهوم لغوي رسمي الى أن نعرف قدرا كبيرا عن العلاقة بين الصور اللغوية ووظائفها في الحديث ، فنحن قد نعلم الطلب تكوين الجمل الاستفهامية ، ونفشل في تعليمه كيفية صياغة الاسئلة بطريقة ملائمة والى أن نعرف الكثير عن هذه العلاقة ، لا يمكننا تدريس الوظائف اللغوية بطريقة نظامية ، لذلك اذا نظرنا — من وجهة النظر الوظيفية — نجد أن ثمة مهمة على المتعلم يعجز المعلم — نسبيا — عن مساعدته بشأنها ، وهو موقف سنقابله بصفة متكررة في كتابنا هذا ، واذا كنا محظوظين سيتعلم متعلمو اللغات في آخر المطاف قدرا كبيرا مما لا نعلمهم اياه أو لا نستطيع تعليمهم اياه لان وصف ذلك لا يتوفر لدينا بقدر كاف. هذا هو الحال بالنسبة لتعلم وظائف اللغة — من حيث استخدام اللغة لغرض ما ، ويكمن الحل الوحيد الذي علينا تقديمه ، في الوقت الحاضر ، في عرض كمية كبيرة ومتنوعة من اللغة على هيئة نصوص قرينية على الطالب ، وعليه أن يسمع ويرى « اللغة عمليا » وهذا لا يعني الاستماع الى اللغة فحسب ، انما يعني تقديم موقف الحديث برمته فلا يمكن للطالب ، مثلا ، أن يحكم من الصوت وحده على ما اذا كانت « ذلك الطلاء رطب » عبارة عن جملة اخبارية أو تحذيرية ، وعلى « ستاتي » كشيء من قبيل التنبؤ أو نوع من الامر ، فيجب على الاقل توافر البيانات التي يكتشف فيها قواعد وتقاليد السلوك اللفظي بنفسه ، ونحن لا نهتم فقط بتعليم الطالب انتاج كلمات مترابطة نحويا بطريقة مقبولة ، بل بتعليمه استخدام اللغة لغرض ما ، ليتخاطب بها ويتلقى مخاطبة بها ، اي تعليمه اداء ادوار بعينها .

---

(10) Huddleston, R.D., (1971). « The sentence in written English : a syntactic study based on an analysis of scientific texts », Cambridge Studies in Linguistics, no. 3, Cambridge University Press.

تكوين الفكر العربي قبل الإسلام (3)

الدكتور رشاد محمد خليل

يلحق بفصل التجريد والمجاز موضوع هو ثمرة من ثمرات التجريد والمجاز وهو موضوع كان يسمى قديما فقه اللغة وهو شيء آخر غير فقه اللغة في الدراسات اللغوية الحديثة وقد جمع بعض علماء اللغة قديما تحت عنوان (فقه اللغة) مادة لغوية رتبوها ترتيبا خاصا اطلق عليه ابو منصور الثعالبي اسم فقه اللغة وهذا الموضوع على جانب كبير من الاهمية وان كان اللغويون انفسهم لم يجمعوا هذه المادة على اساس علمي وانما جمعوها ورتبوها على اساس لغوي صرف مما جعلها في الغالب ناقصة ومبتورة ومشوهة ولكنه رغم القصور الذي في هذه المادة فهي تلفت نظرنا الى القيمة العلمية للمادة اللغوية الموجودة في بطون المعاجم والى ضرورة محاولة الاستفادة منها باعادة ترتيبها ترتيبا يهتم باستخلاص المادة العلمية منها وذلك بجمع كل المادة التي تتعلق بموضوع واحد في باب خاص بها ثم الابواب التي تنتمي لعلم واحد تحت باب عام خاص بها اي ان جميع المادة الخاصة بعلوم الحيوان مثلا تحت (علم الحيوان) وجميع المادة الخاصة بالنباتات تحت (علم النبات) وجميع المادة الخاصة بالطبيعة تحت (علم الطبيعة) وهكذا .. وليس معنى هذا اننا نريد ان ننشيء علما عربيا في هذه الابواب ذلك ان المادة العلمية التي سنعثر عليها مهما بلغت لا يساوي شيئا بجانب هذا الانقلاب الهائل الذي حققه العلم الحديث ولكن اهمية هذا التصنيف هو اعادة دراسة الفكر العربي دراسة علمية موضوعية على اساس من مناهج مقررة لتحديد مكانته التاريخية ولكشف اسلوبه في النظر والتفكير وفهم الوجود المحيط بها ، وعرض هذا الفكر بصورته الجديدة والمدروسة على الاجيال العربية التي تجهل هذا الفكر جهلا تاما بل والتي لا تعرف ولا تتصور انه قد كان للعرب قبل الاسلام فكر وعلم على الاطلاق ثم لعرض هذه الصورة على العالم ليصبح موقفه من الفكر العربي وليصبح تاريخه للحضارة والعلوم الانسانية لان جميع الذين ارخوا للفكر الانساني وعلومه لم يضعوا في اعتبارهم قط احتمال ان يكون للعرب قبل الاسلام علم وفكر على الاطلاق والذي يلقى نظرة على اي موسوعة تؤرخ لتاريخ الفكر وعلومه لن يخرج بغير هذه النتيجة ، ان الفكر العلمي بالمعنى الصحيح تراث يوناني نقله المسلمون الى اوربا .

كتب فقــه اللغــة :

من هذه الكتب التى تخصصت فى موضوعات بعينها

كتب الابل لابى حاتم السجستانى (ـــ ـــ 248) وللاصمعى (122 ـــ 216) ، ولابى عبيدة (110 ـــ 206) ، وللنضر بن شميل (122 ـــ 203) ، ولابى زياد الكلابى ، ولاحمد بن حاتم الباهلى (ـــ ـــ 231).

كتب الخيل لابن قتيبة (213 ـــ 276) وابــن الاعرابى (150 ـــ 231) ، وابى عبيدة ، وابى جعفر محمد بن حبيب البغدادى (ـــ ـــ 245) ، وابى محلم محمد بن هشام الشيبانى (ـــ ـــ 245) ، ولاحمد ابــن حــاتم .

وكتب الغنم والشاة لابى الحسن الاخفش (ـــ ـــ 215) ، وللنضر بن شميل وللاصمعى .

وكتب الوحوش للاصمعى ، ولابى زيد (119 ـــ 215) ولابى حاتم السجستانى .

وكتب الطير لابى حاتم السجستانى ، والنضر بن شميل ، وأحمد بن حاتم الباهلى .

وكتب البازى والحمام والحيات والعقارب لابى عبيــدة .

وكتاب الفــرس للاصمعى .

وكتاب النحل والحشرات لابى حاتم السجستانى .

وكتاب النحل والعسل للاصمعى (1) .

والذى يستلفت النظر ان هذا النوع من التصنيف رغم قصوره يضع تحت ايدينا مادة خصبة لدراســة اسلوب العرب فى تتبع مختلف الظواهر التى عرفوها وفى ملاحظتها وترتيبها وتصنيفها .

وقد جمع أبو منصور هذه الظواهر فى ثــلاثين بابا كل باب مقسم الى عدة فصول تتراوح بين ثلاث فصول وستة وستين فصلا فى الباب الواحد .

وقد رتب ابو منصور ابوابه على الوجه الآتى :

الباب الاول : فى الكليات وفيه اربعة عشر فصلا .

الباب الثانى : فى التنزيل والتمثيل وفيه خمسة فصول .

الباب الثالث : فى الاشياء وتختلف اسماؤها واوصافها باختلاف احوالها وفيه ثلاثة فصول .

الباب الرابع : فى اوائل الاشياء واواخرها وفيه ثلاثــة فصــول .

الباب الخامس : فى صفات الاشياء وكبارها وعظامها وضخامها وفيه عشرة فصول .

الباب السادس : فى الطول والقصر وفيه اربعة فصول .

الباب السابع : فى اليبس واللعين والرطوبــة وفيــه اربعــة فصــول .

الباب الثامن : فى الشدة والشديد من الاشياء وفيه اربعــة فصــول .

الباب التاسع : فى الكثرة والقلة وفيه ثمانية فصول .

انباب العاشر : فى سائر الاوصاف والاحوال المتضادة وفيه سبعة وثلاثون فصلا .

الباب الحادى عشر : فى الملء والامتلاء والصفورة والخلاء وفيه عشرة فصــول .

الباب الثانى عشر : فى الشىء بين الشيئين وفيه ستــة فصــول .

الباب الثالث عشر : فى ضروب الالوان والآثار وفيــه تسعة وعشرون فصلا .

الباب الرابع عشر : فى اسنان الناس والدواب وتنقل الحالات بها وفيه سبعة عشر فصلا .

الباب الخامس عشر : فى الاصول والاعضاء والرؤوس والاطراف واوصافها وما يتولد منها ويتصل بها ويذكــر منها وفيه ستة وستون فصلا .

الباب السادس عشر : فى الامراض والادواء وما يتلوها وما يتعلق بها وفيه اربعة وعشرون فصلا .

---

(1) مقدمة كتاب الحيوان للجاحظ ج 1 ص 14 ـــ 16 نقلا عن وفيات الاعيان لابن خلكان وبغيــة الوعاة للسيوطى ونزهة الالباء وفهرس بن النديم وكشف الظنــون ومعجــم الاديــاء .

الباب السابع عشر : فى ضروب الحيوانات وأوصافها وفيه تسعة وثلاثون فصلا ·

الباب الثامن عشر : فى الاحوال والافعال الحيوانية وفيه سبعة وعشرون فصلا ·

الباب التاسع عشر : فى الحركات والاشكال والهيئات وضروب الضرب والرمى وفيه اربعون فصلا ·

البـاب العشرون : فى الاصوات وحكاياتها وفيه ثلاثة وعشرون فصلا ·

الباب الحادى والعشرين : فى الجماعات وفيه اربعة عشر فصـلا ·

الباب الثانى والعشرين : فى القطع او الانقطاع والقطع وما يقاربها من الشق والكسر وما يتصل بهما وفيـه سبعة وعشرون فصلا ·

الباب الثالث والعشرين : فى اللباس وما يتصل بـه والسلاح وما ينضاف اليه وسائر الآلات والادوات وما ياخذ مأخذها وفيه تسعة واربعون فصلا ·

الباب الرابع والعشرين : فى الاطعمة والاشربة ومـا يناسبها وفيه سبعة عشر فصلا ·

الباب الخامس والعشرين : فى الاثار العُلْوية وما يتلو الامطار من ذكر المياه وأماكنها وفيه ثمانية عشر فصلا ·

الباب السادس والعشرون : فى الارضـين والرمـال والجبال والاماكن والمواضع وما يتصل بها وفيه سبعة عشر فصلا ·

الباب السابع والعشرون : فى الحجارة وفيـه ثلاثـة فصول ·

الباب الثامن والعشرون : فى النبـت والزرع والنخـل وفيه سبعة فصول ·

الباب التاسع والعشرون : فى ما يجرى مجرى الموازنة بين العربية والفارسية وفيه خمسة فصول ·

الباب الثلاثـون : فى فنون مختلفة الترتيب من الاسماء والافعال والاوصاف وفيه تسعة وعشرون فصلا ·

وقد فعل الاسكافى شيئا قريبا من هذا فى كتـاب مبادىء اللغة وان كان لم يقسم أبوابه الى فصول كما فعل الثعالبى وكذلك فعل ابن سيده فى كتابه المخصص وقد قام باعادة ترتيبه وتنسيق مادته بعد الاستعانـة بالقاموس المحيـط وفقه اللغـة والمصبـاح واللسان والاساس وغيرها من كتـب اللغة ـــ عبـد الفتـاح الصعيدى وحسين يوسف موسى فى كتاب الافصاح ·

ونخرج من هذه التصانيف بأن العرب قد لاحظوا كافـة الظواهر التى وقعت تحت ملاحظتهم ـــ حسية كانت او معنوية ـــ وحصروها ورصدوها فى مختلف أحوالهـا ومن مختلف جوانبها ·

اما من ناحية العموم والشمول كالكليات من سماء وارض وحيوان ونبات .. الخ او من ناحية اختـلاف الاحوال واختلاف الاسماء والصفات باختلافها كـأن يقـال : كأس اذا كان يشرب فيها والا فهى زجاجـة·

وكأن يقال : الصبح فى أول النهار والغسق فى أول الليل وذلك فى اليوم الواحد ·

او من ناحية الحجم كالكبر والعظم او الضخامة والصغر .. الخ ·

او من ناحية الهيئة : كالطول والقصر .. الخ ·

او من ناحية الشدة : كاليبس والليونة والشدة والرخـاوة ·

او من ناحية الكثرة والقلة ·

او من ناحية التضاد كالبياض والسواد ·

او من ناحية السّعة كالخلاء والامتلاء ·

او من ناحية اللون او النمو او الصوت .. الخ ·

ولم يلفت شىء من ملاحظتهم ما وقع تحتها كما ان ملاحظتهم للظواهر لم تكن سطحية او عابرة تكتفى بتوصف الشىء فى عمومه وجملته ·

ونضرب لذلك مثلا باحدى الظواهر الحسية وهى : تفصيل كمية المياه وكيفيتها ·

اذا كان الماء دائما لا ينقطع ولا ينزح فى عين او بئر فهو عِدّ .

فاذا كان اذا حرك منه جانب لم يضطرب جانبه الآخر فهو كُرّ .

فاذا كان كثيرا عذبا فهو غَدق وقد نطق به القرآن.

فاذا كان مغرقا فهو غَمْر .

فاذا كان تحت الارض فهو غَوْر .

فاذا كان جاريا فهو غِيل .

فاذا كان على ظهر الارض يسقى بغير آلة من دالية او دولاب او ناعورة او منْجَتون فهو سِيح .

فاذا كان ظاهرا جاريا على وجه الارض فهو معين وسَنِم وفى الحديث (خير الماء السَّنِم) .

فاذا كان جاريا بين الشجر فهو غلل .

فاذا كان مستنقعا فى حفرة او نقرة فهو ثَقَب .

فاذا نبط من قعر البئر فهو نَبَط .

فاذا غادر السيل منه قطعة فهو غَدِير .

فاذا كان الى الكعبين او الى انصاف السُّوق فهو ضَحْضاح .

فاذا كان قريب القعْر فهو ضَحْل .

فاذا كان قليلا فهو ضهل .

فاذا كان أقل من ذلك فهو وَشَل .

فاذا كان خالصا لا يخالطه شىء فهو قراح .

فاذا وقعت فيه الاقمشة حتى كان يتدفق فهو سَدِم.

فاذا خاضته الدواب فكدرته فهو طَرْق .

فاذا كان متغيرا فهو سَجِس .

فاذا كان نتنا غير آنه شروب فهو آجِن .

فاذا كان لا يشربه أحد من نتنه فهو آسِن .

فاذا كان باردا مغتنا فهو غسّاق (بتشديد السين وتخفيفها) . ، وقد نطق به القرآن .

فاذا كان حارا فهو سُخن .

فاذا كان شديد الحرارة فهو حَمِيم .

فاذا كان مُسَخَّنا فهو مُوعَز .

فاذا كان بين الحار والبارد فهو فاتِر .

فاذا كان باردا فهو قار .

ثم خصر .

ثم شَبِم .

ثم شُنَان .

فاذا كان جامدا فهو قارس .

فاذا كان سائلا فهو شرب .

فاذا كان طريا فهو غريض .

فاذا كان ملحا فهو زُعَاق .

فاذا اشتدت ملوحته فهو حُراق .

فاذا كان مُرا فهو قُماع .

فاذا اجتمعت فيه الملوحة والمرارة فهو أُجاج .

فاذا كان فيه شىء من العذوبة وقد يشربه الناس على ما فيه فهو شَريب .

فاذا كان دونه فى العذوبة وليس يشربه الناس الا عند الضرورة وقد تشربه البهائم فهو شَرُوب .

فاذا كان عذبا فهو فرات .

فاذا زادت عذوبته فهو نُقاح .

فاذا كان زاكيا فى الماشية فهو نَمير .

فاذا كان سهلا سائغا متسلسلا فى الحلق من طيبه فهو سلسل وسلسال .

فاذا كان يمس الغلة فيشفيها فهو مَسُوس .

فاذا جمع الصفاء والعذوبة والبرد فهو زلال .

فاذا اكثر عليه الناس حتى نزحوه بشفاههم فهو مَشْفُوه ثم مَمْؤود به ثم مَضْفوف . ثم مَمْكوك ثم مَجْموم ثم مَنْقوص وهذا عن ابى عمر الشيبانى (2) .

امثلة لبعض الظواهر المعنوية :

رجل مُعْجِب .

ثم تائِه .

ثم مَزْهو من ومَنْخُو من الزهو والنخوة .

ثم باذخ من البَذْخ .

ثم اصْيد اذا كان لا يلتفت يمنة ويسرة من كبره.

ثم مُتَغطْرف اذا تشبه بالغطارفة كثيرا .

ثم مُتغطرس اذا زاد على ذلك (3)

---

(2) فقه اللغة للثعالبى ص 289 : 129 .
(3) نفس المصدر السابق ص 154 .

العبوس :

اذا روعى ما بين عينيه فهو قاطب وعابس ·

فاذا كشر عن انيابه مع العبوس فهو كالح ·

فاذا زاد عبوسه فهو ياسر ومكفهر ·

فاذا كان عبوسه من الهم فهو ساهم ·

فاذا كان عبوسه من الغيظ وكان مع ذلك منتفخا فهو مُبَرطم عن الليث عن الاصمعى (4) ·

كيفية النظر وهيئاته فى اختلاف احواله :

اذا نظر الانسان الى الشيء بجامع عينه قيل رَمَقه

فان نظر اليه من جانب اذنه قيل لَحَظه ·

فان نظر اليه بعجلة قيل لَمَحه ·

فان رماه ببصره مع حدة نظر قيل حدجه بطرفه وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه حدث القوم مما حدجوك بابصارهم ·

فان نظر اليه بشدة وحدة قيل ارشَقه وأسَفّ النظر اليه وفى حديث الشعب انه كره ان يُسيف الرجل نظره الى أمه واخته وابنته ·

فان نظر اليه نظر المعجب منه او الكاره له او المبغض إياه قيل : شَفَنَه وشَفَن اليه شُفونا وشَفْنا ·

فان أعاره لحظ العداوة قيل نظر اليه شَزْرا ·

فان نظر اليه بعين المحبة قيل نظر اليه نظرة ذى عِلق ·

فان نظر اليه واضعا يده على حاجبه مستظلا بها من الشمس ليستبين المنظور اليه قيل استكفه واستوضحه واستشرفه ·

فان نشر الثوب ورفعه لينظر الى صفاقته وسخافته او يرى عوارا ان كان به قيل استَشفّه ·

فان نظر الى الشيء كاللمحة ثم خفى عنه قيل لاحه لوحة كما قال الشاعر : وهل تنفعنى لوحة لو الوحها

فان نظر الى جميع ما فى المكان حتى يعرفه قيل نفضه نفضا ·

فان نظر فى كتاب او حساب ليهذبه او ليستكشف صحته وسقمه قيل تصفحه :

فان فتح جميع عينيه لشدة النظر قيل حدق ·

فان لاهما قيل ترق عينيه

فان انقلب حملان عينيه قيل حملق ·

فان غاب سواد عينيه من الفزع قيل ترق بصره ·

فان فتح عين مفزع او مهدد قيل جمح ·

فان بالغ فى فتحها وأحدّ النظر عند الخوف قيل حدج وفزع ·

فان كسر عينه فى النظر قيل دنقس وطرفس عن ابن عمرو فان فتح عينيه وجعل لا يطرف قيل شخص وفى القرآن شاخصة ابصارهم ·

فان ادام النظر مع شكون قيل اسجد عن ابن عمرو ايضا (5)

فان نظر الى افق الهلال لليلته ليراه قيل : تبصره

فان اتبع الشيء بصره قيل اثاره بصره (5) ·

* * *

يلاحظ على هذه الظواهر انها تتبع فى طريق الملاحظة والاستقصاء والرصد والتسجيل خطوات المنهج العلمى التجريبى الحديث ولهذا كما نعتقد دلالة علمية خطيرة لانها تضعنا امام عقلية علمية تجريبية نضجت فيها الى حد كبير ملكات عقلية متعددة من قوة الادراك وشموله وسعته ومن سعة الخيال وتنوعه ومن عمق الملاحظة ودقتها ونفاذها ومن القدرة على الترتيب والتنسيق والتوصيف والتبويب ·

هذا على الرغم من ان علماء اللغة يهتموا بالقيمة العلمية لهذه المادة وانما اهتموا بقيمتها اللغوية ولو انهم التفتوا الى القيمة العلمية التى التفت اليها الجاحظ فى كتابه الحيوان لوصل الينا علم كثير ودقيق فى مجال الظواهر التى وقعت تحت ملاحظتهم .

وابلغ دليل على ماتقول هو ذلك المرجع النفيس فى علم الحيوان الذى بذل فيه الجاحظ جهده واستوعب فيه جل المادة المعروفة فى عصره فى هذا الباب مما نقل عن اليونان وغيرهم بالاضافة الى المادة العربية وفى هذا يقول الجاحظ وهو حجة فى هذا الباب تحت عنوان

---

4) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة ·
(5) فقه اللغة 113 — 114 ·

معرفة العرب والاعراب بالحيوان : وقل معنى سمعناه في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقراناه في كتب الاطباء والمتكلمين الا ونحن قد وجدناه او قريبا منه في اسفار العرب والاعراب وفي معرفة اهل لغتنا وملتنا

ولولا ان يطول الكتاب لذكرت ذلك اجمع . وعلى اني قد تركت تفسير اشعار كثيرة وشواهد عديدة مما لا يعرفه الا الراوية التحرير من خوف التطويل (6) .

وهذا الذي نراه يحملنا على ان نلفت النظر الى انه اذا تاكد فضل العرب على الحضارة الغربية واذا تاكد ان العرب هم الذين احيوا واسهموا في ارساء قواعد المنهج العلمي التجريبي والتطبيقي وذلك ما تناوله علماء ومؤرخون غربيون بالحديث والدراسة فان ذلك لا يجوز ان يرد فقط الى الحضارة العربية الاسلامية التي نضجت في ظلها العلوم التجريبية على ايدي علمائها المشهورين من امثال الحسن بن الهيثم وجابر بن حيان والرازي وابن سينا والبيروني والادريسي . وغيرهم وانما يجب ان يرجع به الى ما قبل الاسلام حيث وضع الاساس التجريبي وتكونت العقلية التجريبية واذا كان التجريب قبل الاسلام لم ياخذ طابعا معمليا ولم يقم على اساس وضع النظريات وانشاء الفروض والتاسيس عليها واستخلاص النتائج العلمية فان ذلك لايمكن ان يقلل من قيمة المرحلة السابقة على الاسلام لانها المرحلة التي اختمرت ونضجت فيها الملكات العقلية الاساسية اللازمة لهذا النوع من الدراسة والتي استطاعت حين اتيحت لها الفرصة في ظل الحضارة الاسلامية وبعد ترجمة العلوم ان تؤتي اكلها في صورة النظريات العلمية والمدرسات المعملية التي ازدهرت بها جوانب كثيرة من جوانب المعرفة التطبيقية في الكيمياء والبصريات والهندسة والطب والجغرافيا والفلك .. الخ على ايدي العلماء المسلمين.

---

6) الحيوان ج 3 ص 268

مستقبل اللغة العربية في العالم

الأستاذ : محمد بن اسماعيل

ترجمة الأستاذ : محمد محمد الخطابي

بواجهنا — فى مجال الحديث عن اللغة العربية — مظهران لغويان اثنان ، فنحن نجد انفسنا احيانا ازاء لغتين ، يطلق على الأولى — بصفة عامة — لغة فصحى او ادبية ، ويطلق على الثانية لغة الحديث اليومى (اى العامية) . وتحصى هذه الاخيرة بالاجمال بعدد البلاد التى لها صلة بالعربية وهى عادة معرضة لنزوة لا يضاهيها الا الجهل المتفاوت للغة الفصحى ، وكثيرا ما يكون هذا التضاهى فى سائر اللغـات .

ان العالم مقسم اليوم الى كيانات سياسية تستعمل فى كل منها بصفة رسمية لغة معينة غير انه من الصعب ان ندرك أن سكان الولايات المتحدة الامريكية يستطيعون التكلم باللغة الانجليزية وان سكان بلجيكا لايتحدثون البلجيكية وأن نسبة كبيرة من سكان سويسرا يتكلمون اللغـة الفرنسيـة .

كما انه يصعب ان ندرك ان العالم العربى الذى هو مقسم سياسيا بصفة متبادلة ليس لكل بلد منه لغة رسمية خاصة تتميز عن لغة البلاد الاخـرى . فالى اى طور وصلت اليوم لغة هذه البلدان وهل من الممكن ان تتخلص اللغة العربية الحديثة وما يتبعها من لهجات من هذا الضبـاب الكثيف المحيـط بهـا ؟

من العربية الفصحى الى « العربية المفرنسة »

يرى البعض — ونحن متفقون معه — أن اللغـة العربية — حسب ما هى مستعملة فى البلدان العربية — تتميز بصفة عملية بثلاث مظاهر ممثلة فى درجات ثلاث هى كمـا يلى :

اولا : العربية المكتوبة والمقروءة وهى لغة المدارس والادارات والتـاليف الادبـى والعلمـى والخطـب

---

(1) نشر هذا المقال فى مجلة (Jeune Afrique) عدد 799 ، 30 ابريل 1976 .

2) استاذ مبرز فى الآداب ، وصاحب منهاج حديث لتعليم اللغة العربية للأوربيين — والمسئول عن برنامج التكوين الدائم فى جامعة باريس 8 .

السياسية ، ، الخ وهى مستعملة بصفة عامة فى سائر وسائل الاعلام والتبليغ ·

ثانيا : العربية « العامية » وهى لغة العلاقات اليومية المستعملة على الاخص فى الاوساط الشعبية وينبغى أن نرى هل هى موحدة فى كل بلد على حدة ثم على صعيد الوطن العربى كله ·

ثالثا : اللغة العامية المليئة بالدخيل الأجنبى خاصة من اللغات الغربية — وهى على العموم — أكثر اللغات استعمالا لدى الطبقات المثقفة والمتوسطة المتخرجة من المدارس الانجليزية بالنسبة للمشرق أو الفرنسية بالنسبة للمغرب وفى هذه الحالة كثيرا ما يتخلل هذه اللغة تعابير بل وجمل تامة بالانجليزية او الفرنسية ، وتستعمل هذه اللغة بطريقة عفوية وبدون مراعاة للقواعد النحوية · ويجرنا هذا الى التفكير بكيفية هامة لما يسمى بالفرانجلى (FRANGLAIS) أى للتعبير عن كثرة الدخيل الانجليزى فى الفرنسية وقد يقال فى هذه الحالة كذلك (العرنجلى (ARANGLAIS) او العرنسى (ARAFRANCAIS) للتعبير عن نفس الغاية فى كل لغة ·

اننا نلاحظ أن العمال المغاربة فى فرنسا أو حتى فى شمال افريقيا (ومعظمهم أميون) يستعملون فى كلامهم العادى — بصفة تلقائية — مجموعة من الكلمات أو التعابير محرفة تنحدر أساسا عن اللغة الفرنسية ، فنحن نجد عندهم مثلا الاسبوع (Semaine) يتحول الى (Smana) والغرفة (Chambre) تتحول الى (Chambri) والفندق (Hôtel) يصبح (Outil) ، والبطالة (Chômage) تغدو (Chaumage)ولعبة سباق الخيل المعروفة (Tiercé) ينطقونها (Tirsi) وهكذا ، ، ويضاف الى هذا التحريف اللفظى عند المتكلمين الذين لهم المام كاف باللغة الفرنسية الأخطاء التى مردها الى تغيير طبيعة الأسماء فى التذكير والتانيث ، فنحن نجد مثلا أن نسبة كبيرة من الاسماء المذكرة فى الفرنسية هى مؤنثة فى اللغة العربية ، لذا فليس غريبا أن يؤنث هذا العامل كلمة Avion (الطائرة) وهى اسم مذكر فى الفرنسية ، وكذلك Chaise (الكرسى) المؤنثة فى الفرنسية فيذكرها، كما انه يؤنث (الشمس) Soleil وهى مذكر فى الفرنسية كذلك وهكذا . . ويرجع سبب ذلك كما سبق القول الى اختلاف طبيعة هذه الاسماء فى اللغتين · كما انه من الملاحظ فى حالة عدم اعتبار الجملة الاسمية التى ليس لها نظير دقيق بالفرنسية واعتبار أن الفعل فى العربية يسبق الفاعل فى الجملة الفعلية على الرغم من هذا الخلاف فمن المستطاع أن تتطابق البنيتان الفرنسية والعربية ·

عربية الغد

اللغة العربية تاسم مشترك بين الدول العربية جميعا وهى تزداد فى الوقت الراهن — عمقا وتفتحا يوما بعد يوم ، ويرجع الفضل فى ذلك الى عوامل متعددة ومتطورة باستمرار لها أهميتها الكبرى وتأثيرها البليغ فى توحيد هذه اللغة ، فما هى اذن هذه العوامل ؟·

يتعلق الامر — فى المقام الاول — بمسالة استحداث المدارس الجديدة التى تنمو وتتكاثر تكاثرا مدهشا وعلميا فى جميع البلاد العربية والتى يعلم فيها — على الاقل — المواد اللغوية الصرف والمواد الادبية ويتم ذلك التعلم — بطبيعة الحال — بواسطة الفصحى ، وتجدر الاشارة هنا الى أن العامية لم تقص بعد بصفة مطلقة من المدارس الابتدائية غير انه ليس لهذا الاثر العامى أى أثر لا سيما وان هذه المدارس تقصد اساسا الى تعليم القراءة والكتابة اللتين يتمان بواسطة الفصحى·

ويتعلق العامل الثانى باهمية الدور الذى اخذت تضطلع به العربية الفصحى يوما بعد يوم فى البلدان العربية ، وعلى الصعيد العالمى وهو يتركز على التطورات الاقتصادية والوثبات الجبارة التى يرجع سببها فى هذا المجال الى الثورة البترولية بصفة خاصة وما تجلبه من عائدات وأرباح هائلة ، ولا يستطيع عالم اللغة — تبعا لذلك — أن يصدر حكما تقييميا بصدد هذا المصدر المسهم فى تطور اللغة العربية وانتشارها فى العالم وانما قصارى ما يمكنه فعله بشانه هو الاشارة الى هذه الظاهرة من غير التحمس لها او الاقلال من قيمتها ، ويبقى الامر أمرا لغويا يعود لاسباب سياسية واقتصادية لا ينبغى اغفال اثرهما فى هذا المجال ·

لقد أصبحت اللغة العربية لغة رسمية فى كثير من المنظمات الدولية — ولاسيما — فى اليونسكو بجانب اللغات الكبرى الاربع : الانجليزية ، والروسية ، والاسبانية ، والفرنسية ، ولئن كان الغربيون ، والفرنسيون من بينهم ، كانوا يعتبرون العربية فيما مضى من جملة اللغات الميتة ولم يهتموا الا قليلا بتدريسها فانها أصبحت الآن عندهم محل اهتمام زائد وصار الناس منذ بضع سنوات يميلون الى تعلمها والتعرف عليها والانتفاع بها ·

ان الدور الذى اصبحت تلعبه اللغة العربية فى عالم اليوم وخاصة فى العالم الغربى وهو الذى كان نبذها نبذا سيسهم حتما فى تطورها والرفع من قيمتها واستقرارها التدريجى كما سيساعدها على فرض نفسها كلغة دولية بعد أن عم شيوعها سائر البلاد العربية واعترف لها بصفتها الدولية اعترافا دوليا ·

أما العامل الثالث من هذه العوامل الثلاثة فانه يتمثل فى هذا التداخل والتبادل القائمين منذ أعرق العصور بين البلدان العربية واللذين اصبحا يتمان اليوم بسرعة بفضل تطور وتعدد وسائل المواصلات بالاضافة الى مسالة توطيد العلاقات من كل نوع بين هذه الاقطار التى تزداد يوما بعد يوم ، غير انه على الرغم من أن هذه الدول تشكل كيانات سياسية متميزة فانها ما تزال تعانى — فى بعض الاحيان — من خلافات واصطدامات عنيفة فيما بينها ولغة التخاطب والتفاهم الرئيسية فى تلك العلائق جميعا هى بطبيعة الحال اللغة العربية الخاضعة لقواعد نحوية محكمة فى حالة الكتابة او المتميزة بنبرات صوتية خاصة فى كل بلد عربى حسب الانتماء الجغرافى للمتكلم بها ، غير انه لا يصعب فهم هذه النبرات فى اى بلد عربى ·

وهذا أمر طبيعى ، فاللغة الانجليزية مثلا لا يتحدث بها فى بريطانيا العظمى مثلما يتحدث بها فى الولايات المتحدة الامريكية . كما ان الفرنسية لا تستعمل بصفة مماثلة فى فرنسا وبلجيكا وسويسرا وكندا الفرنسية · والأمثلة متعددة فى هذا المجال ، ليس غريبا اذن ان نلاحظ فى البلدان العربية بعض الخلافات اللسانية فى حالة التنقل من بلد الى آخر ·

وتزداد اهمية هذا العامل الاخير اذا علمنا حجم الدور الذى اصبحت تلعبه المدرسة وانتشارها الواسع بين الطبقات الشعبية نتيجة للسياسة التى تنهجها الدول العربية فى ميدان التعليم بعزيمة كبيرة فى محاولة اللحاق بالعصر وتعويض ما فاتها فى هذا المضمار كما أن انتشار وسائل التعبير والتبليغ وسهولة مداولتها بين الشعوب ، والارتفاع الشبه العام للمستوى المعيشى للسكان ، كل ذلك سيساعد ولاشك على ارتفاع المستوى الثقافى فى هذه البلدان جميعا ·

كل هذه الظواهر تحمل على التفكير بأن العوامل الثلاثة المبينة اعلاه متجهة بسرعة نحو التقارب فيما بينها لتصبح فى النهاية امرا واحدا ·

ان الاجيال الجديدة من ابناء العروبة فى مختلف البلدان العربية لم يعيشوا تحت السيطرة الفرنسية او الانجليزية ولكنهم شاهدوا الاضمحلال المتفاوت السرعة لهذه السيطرة · وهؤلاء سيجدون انفسهم مهيئين لاستعمال لغة مشتركة فيما بينهم ويمكن أن نشاهد هذه الظاهرة الآن فى سائر البلاد العربية بما فيها الجزائر التى عرفت الحضارة العربية بها حالة حصار دام اكثر من قرن من الزمان ، حتى كاد يقضى عليها الى الأبد وحيث بقيت اللهجة البربرية ثابتة بالرغم من كل ذلك ·

ويبدو وجود اللغة متى وقع الاتصال فى اطار منطق مزدوج من نمط صوتى ، ويقوم توحيد اللغة على تحقق الاتصال · انطلاقا من هذا التعريف يتأتى لنا القول بأن وجود لغة واحدة موحدة لاريب فيه ، وهذه اللغة المشتركة تشكل نموذجا راسخا فى الاذهان بصفة تجعله ينفذ باستمرار الى بناء الجمل الدارجة متى ارتفع مستوى الحديث شيئا ما فوق ظروف الحياة العادية·

نحو لغة موحدة

على أن هناك مجالا من الاهمية بمكان تتراكم الصعاب فيه يوما بعد يوم دون أن نستطيع الزعم باننا سنجد لها حلولا ناجعة وهو مجال المصطلحات الذى لا يزال فى الواقع عبارة عن ارض بور على ان هناك جهودا صادقة تبذل فى هذا المجال وهى ذات اتجاهين اثنين · يتمثل أولهما فى نشاط المجامع اللغوية وخاصة مجمعي القاهرة ودمشق (3) اللذين بذلا وما زالا يبذلان جهودا طيبة فى هذا الميدان · وبجانب هذا العمل ينمو

---

(3) يلاحظ ان الكاتب قد أغفل هنا ذكر مجمع بغداد الذى لاينكر احد الجهود المحمودة التى بذلها ومايزال فى خدمة المصطلح العربى على وجه الخصوص ، كما ان الكاتب اغفل كذلك ذكر مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الذى يضطلع بهذه المهمة اساسا منذ ازيد من خمسة عشر عاما (المترجم)·

نشاط لا بأس بفعاليته وان كان غير منظم وهو ماتقوم به الصحف والمجلات ومختلف اللقاءات والندوات التي تعقد بشأن اللغة العربية .

اما مسألة اختلاف المسميات وتباينها بين بلد عربي وآخر فليس له اى أثر على مسيرة اللغة العربية. فحتى لو سمي شيء في تونس بغير ما يسمى به في القاهرة فان كلا الاسمين عربيان ومعروفان ان لم يكونا شائعين في جميع البلاد العربية . فالجسر — على سبيل المثال — الذى يسمى فى تونس قنطرة نجده فى كل من دمشق والقاهرة يقال له « جسر » للتعبير عن نفس الدلالة وان كان اللفظ معروفا معرفة تامة فى المدن الثلاث .

تلك أمثلة بسيطة أحببت الاشارة اليها وكما اشرت سابقا فان توحيد اللغة العربية — الذى هو سائر نحو التحقيق — سيقضى شيئا فشيئا على الخلافات القائمة والتى ستصبح مع الايام ضئيلة جدا ان لم يبق لها اثر يذكر على الاطلاق .

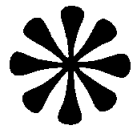

مقتطفات وآراء

1 ــ الكتب اللغويــة الجديــدة 221

2 ــ مجامع اللغة العربية فى الوطن العربى

* توصيــات وقــرارات 225

* اعداد قانون فى سوريا للحفاظ على سلامــة اللغــة 225

* مجمع اللغة العربية الاردونى 226

* تصحيــح الاصــول 231

* انتشـار اللغة العربية فى العالم 237

الكتب اللغوية الجديدة

مقتطفات من الكتب الحديثة وملخصاتها

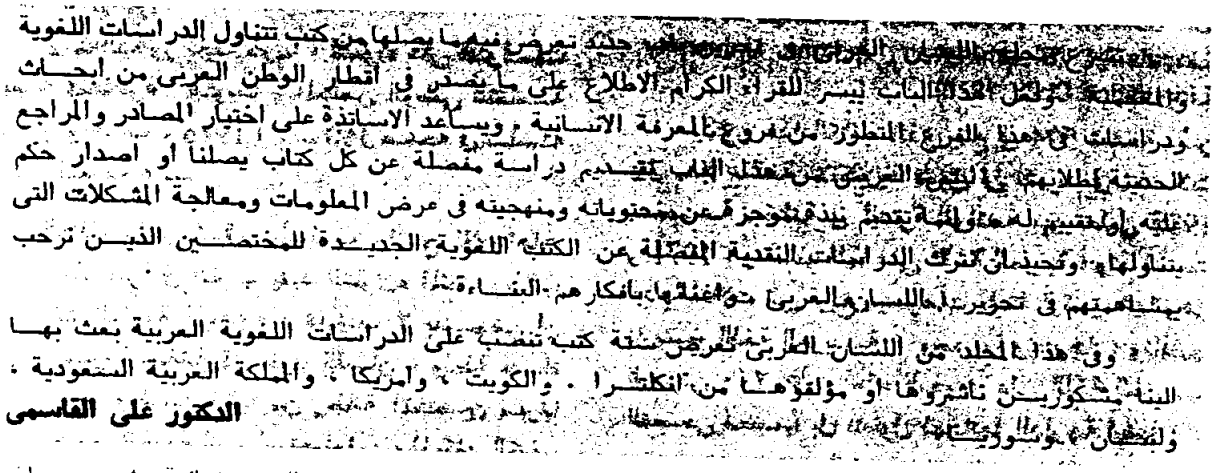

ان تطور الدراسات اللغوية ، وتكاثر المجلات المتخصصة التى تعنى بها جعلا من الصعب على الباحث أن يطلع على جميع ما نشر حول الموضوع الذى يدرسه. وننتج عن ذلك كثير من التكرار حينا والنقص حينا آخر فى اعمال الباحثين المتأخرين . واصبح من الضرورى أن يضطلع باحث بوضع معجم لمصادر الدراسات اللغوية العربية ، وهو امر لا يتطلب سعة اطلاع وتتبع فحسب بل يستلزم قدرا كبيرا من الصبر والتضحية ايضا . ولقد تصدى لهذه المهمة الجليلة الدكتور محمد حسن باكلا ، الذى نشر كتابه عام 1975 واعيد طبعه مرتين منذ ذلك الحين . ويمكن تلخيص الخصائص الاساسية لهذا الكتاب فيما يأتى :

1 ــ الدكتور محمد حسن باكلا . **معجم مصادر الدراسات اللغوية العربية** .

M. H. Bakalla, Bibliography of Arabic Linguistics (London : Mansell, 1975)

1 ــ يضم الكتاب الفين وثمانية عشر موجعا ما بين كتاب ومقال وبحث .

2 ــ ينصب الكتاب على الدراسات اللغوية العربية الحديثة التى صدرت بعد عام 1967 . وذلك لوجود معجمين لمصادر اللغة العربية تناولا الفترة الحديثة السابقة ، صدر الاول منهما عام 1962 واشرف على جمعه هارفى سويلمان ، والآخر للدكتور ثيودور بروهاسكا بعنوان « ببليوغرافية مختارة للغة العربية من عام 1960 الى 1967 م » .

3 ــ ينقسم كتاب الدكتور باكلا الى جزئين رئيسيين أولهما يشمل المصادر التى كتبت بلغات تستخدم الحرف اللاتينى وثانيهما يضم المصادر التى الفت بلغات شرقية كالعربية والعبرية والفارسية .

4 ــ رتبت مداخل الكتاب طبقا للترتيب الالفبائى للمؤلفين كما ذيل بفهارس للموضوعات على وجه

العموم وبالتفصيل ، وفهارس بأسماء مراجعى الكتب ونقديها ·

لقد اسدى الدكتور باكلا خدمة جليلة للغة العربية وللباحثين فى علومها على الرغم من أن الكتاب لم يستقص جميع الابحاث والدراسات اللغوية وانه لم يسر على وتيرة واحدة من حيث تقديم نبذة قصيرة عن كل بحث ، فقد ادرجت بعض البحوث دون تعريف بمحتوياتها ·

ويبدو أن المؤلف يدرك ذلك فهو ينوى اصدار طبعة جديدة مزيدة تضم الابحاث التى نشرت بعد صدور الكتاب ، وتستكمل النقص فيه ، وقد أهاب بكل الباحثين والدارسين والمؤلفين بأن يبعثوا اليه بمعلومات كافية عن مؤلفاتهم ·

2 ــ الدكتور نايف خرما ، **اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة** (الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، 1978) · ــ 340 صفحة فى سلسلة « عالم المعرفة » ــ

الكتاب عرض شائق باسلوب واضح للاتجاهات اللغوية المعاصرة فى الغرب يفيد القارىء المثقف وطالب الدراسات اللغوية المبتدىء · فالمؤلف لا يفترض أن للقارىء معرفة سابقة فى علوم اللسان ، ولهذا جاء عرضه عاما واضحا خاليا من رطانة المختصين معرفا بالمصطلحات اللغوية التى استعملها · ولما كان الكتاب ينصب على الدراسات اللغوية الغربية المعاصرة فليس للقارىء أن يتوقع شيئا عن التراث العربى فى علوم اللغة فى هذا الكتاب ، فحتى مراجعه تكاد تخلو من الاشارة الى تراث العرب الموسوعى فى الصرف والنحو والعروض والمعجم ·

ينقسم الكتاب الى مقدمة وخمسة فصول ، يتناول الفصل الاول التطبيقات العملية لعلم اللغة فى مساعدة الصم والبكم وابتكار طرائق رمزية معينة للاتصال بهم ، وفى انظمة الاتصالات السلكية واللاسلكية، وفى تعليم اللغات القومية والاجنبية ، وفى التخطيط اللغوى ، وفى الترجمة والترجمة الآلية ، وفى غير ذلك من مجالات الحياة العملية · ويدور الفصل الثانى حول اهمية اللغة ودورها فى العلوم الانسانية ، وتاريخ الدراسات اللغوية قديما وحديثا ، ومحاولات تقنينها واخضاعها الى المنهج العلمى فى البحث ، أما الفصل الثالث فيبحث فى النظريات الحديثة فى طبيعة اللغة البشرية فيسرد خصائص لغة الانسان وما يميزها عن لغة الحيوان ، وتشكل وظيفة اللغة فى المجتمع ومستوياتها الاجتماعية المتباينة موضوع الفصل الرابع من الكتاب · أما الفصل الخامس فيعرض المدارس اللغوية الغربية الحديثة وخصائصها المميزة وطرائقها فى التحليل النحوى ، ونظرياتها المختلفة كالنظرية البنيوية ، والنظرية التحويلية التوليدية ·

ان الدكتور نايف خرما يستحق التهانى على هذا الكتاب الجيد الذى يعد اضافة كريمة لمكتبة المثقف العربى ·

3 ــ **الدكتور سلمان العانى ، قراءات فى علم اللغة العربى**

Dr. Salman H. Al-Ani (ed), **Readings in Arabic Linguistics** (Bloomington : Indiana University Linguistics Club, 1978).

يتكون هذا الكتاب الذى يقع فى 594 صفحة من 32 مقالا باللغة الانكليزية سبق أن نشرت فى مجلات متخصصة مختلفة فى الفترة الواقعة بين عامى 1935 و 1971 ، وتنصب كلها على اللغة العربية ، وقد قسمت هذه المقالات الى اربع مجموعات طبقا لموضوعاتها وهى تاريخ اللغة العربية ، وصرفها ونحوها ، ونظامها الصوتى · ولا تقتصر هذه البحوث على اللغة العربية الفصحى فحسب بل تتناول لهجاتها الدارجة أيضا ·

وينتمى كتاب هذه المقالات الى مختلف المدارس اللغوية الحديثة فى الغرب كالمدرسة البنيوية ، والمدرسة انبريطانية ، ومدرسة براغ ، والمدرسة التحويلية التوليدية · ومن بين الكتاب لغويون مشهورون مثل رومان يعقوبسن ، وزلغا هريس ، وجوزف غرينبرغ ، وجورج تريكر · ومستعربون بارزون مثل جارلس فرغسن ، وريتشارد هريل ، وميتشل ، ووليم كوان · ولعل القارىء يتساءل لم يهتم هذا العدد الكبير من اللغويين العظام باللغة العربية فيدرسونها ، ويبحثون فيها ، ويكتبون عنها · يقول اللغوى الامريكى فرد هاوسهولدر الذى كتب مقدمة الكتاب موضوع المراجعة « يبدو أن اللغة العربية تثير مشكلات تمثل معظم المفاهيم النظرية الاساسية فى علم اللغة ، فتجتذب لذلك خيرة الادمغة اللغوية » · ويقول هاوسهولدر عن مقال زلغا هرس المنشور فى هذا الكتاب بعنوان (مونيمات العربية المغربية) : « يشكل هذا المقال مرحلة هامة فى تطور النظرية الفونيمة الامريكية . . » ، وعن مقال يعقوبسن

(الفونيمات المفخمة فى اللغة العربية) : « يمثل هذا المثال آخر تعديل هام على نظرية الخصائص المميزة التى جاء بها يعقوبسن وأخذها عنه فيما بعد وعد لها جوهريا اللغوى موريس هله . » ومن هذا يتبين لنا كيف ن الدراسات العربية ساعدت اللغويين الغربيين على تعديل نظرياتهم اللسنية وتطويرها .

يستحق الاستاذ الدكتور سلمان العانى أستاذ اللغة العربية فى جامعة انديانا فى الولايات المتحدة الامريكية الشكر والتقدير لجهده القيم فى تجميع مواد هذا السفر الجيد من مصادرها المتفرقة تسهيلا لعمل الباحثين وخدمة للثقافة العربية .

4 — ت . م . جونستون ، **دراسات فى لهجات شرقى الجزيرة العربية** ترجمة الدكتور احمد الضبيب (الرياض : مطبوعات جامعة الرياض ، 1975) .

على الرغم من ان اللغويين العرب يتفقون على ان اللغة العربية الفصحى هى حجر الوحدة الثقافية والفكرية للامة العربية والاسلامية ، وانها ينبغى ان تكون الوسيلة الوحيدة فى الاتصال والتربية والاعلام فى الوطن العربى ، فانهم لا يكفون عن البحث فى اللهجات الدارجة ودراستها ادراكا منهم لاهمية ذلك البحث وتلك الدراسة فى الوقوف على اسرار تطور اللغة العربية الفصحى ذاتها ، وفى تعليمها لابنائها وللناطقين باللغات الاخرى بطريقة اكثر فاعلية واكبر سرعة ، وذلك عن طريق الوقوف على الملامح المشتركة بين الفصحى واللهجات الدارجة ، وعلى نقاط الاختلاف بينهما . ولعل لهجات الجزيرة العربية تتمتع باهمية خاصة فى هذا المجال لان الجزيرة هى موطن العرب الاول ، الذى ترعرعت فيه اللغة العربية ، وانتقلت منه اللهجات الى بقية اجزاء الوطن العربى الحديث . ويرى الدكتور الضبيب « ان ثقافة الجزيرة العربية فى مجملها ثقافة منحدرة من اصول عربية قديمة لم يؤثر فيها الدخيل الوافد الا بقدر ضئيل جدا ، فعادات الجزيرة وتقاليدها وفنونها الشعبية القولية منها وغير القولية هى فى معظمها امتداد لما كان موجودا عند العرب القدماء ، وكذلك لهجات الجزيرة فى بواديها وشعابها وقراها هى فى معظمها تطور للعربية الام فى متنها الادبى أو فرعها النهجى ، اثرت فيها ظروف الجزيرة البيئية والاجتماعية ولذلك فهى تحافظ على كثير من ملامح اللغة العربية القديمة » .

ومما يؤسف له أن البحوث اللغوية فى اللهجات العربية عموما وفى لهجات الجزيرة العربية خصوصا محدودة قام باجراء معظمها مستشرقون ، وكان من بينهم ت . م جونستون أستاذ اللغة العربية فى جامعة لندن الذى وضع كتابه **دراسات فى لهجات شرقى الجزيرة العربية** بعد دراسة ميدانية اعتمد فيها على تحليل نصوص سجلها من افواه المخبرين فى عام 1958 — 1959 وقدمها فى الاصل الى جامعة لندن فى شكل رسالة منح بموجبها درجة الدكتوراه . وشملت هذه الدراسة الساحل الشرقى لشبه جزيرة العرب الممتد من الكويت شمالا حتى عمان جنوبا . وانقسمت الى مدخل واربعة أبواب . وفى المدخل يورد المؤلف نبذة موجزة عن تاريخ المنطقة واقتصادها وتركيبها السكانى ، ويشرح طريقته فى ترتيب مادة الكتاب ومنهجه فى البحث ، وفى الباب الاول يسرد « الخصائص العامة للهجات الساحل الشرقى لشبه جزيرة العرب » . وتتناول الابواب الثانى والثالث والرابع هذه اللهجات من حيث تشكيلها الصوتى ، وصرفها ، ونحوها على التوالى .

لقد تصدى لترجمة هذا الكتاب اديب عالم لغوى من ابناء الجزيرة العربية ، درس اللغتين العربية والانجليزية فى مصر وانكلترا وبرز فيهما هو الدكتور أحمد الضبيب فجاءت ترجمته مثالا لما ينبغى ان تكون عليه ترجمة الكتب المتخصصة من دقة فى النقل ووضوح فى الاسلوب . ولقد صدر المترجم الفاضل الكتاب بمقدمة قيمة شرح فيها تاريخ البحث فى اللهجات واهميته ، واشار الى ما نشر من كتب فى هذا المجال . ولم يكتف بذلك بل ذيل صفحات الكتاب باضافات وملاحظات حضارية ولغوية مفيدة .

5 — الدكتور محمود اسماعيل صينى ، **نظام الجملة فى اللغة العربية** .

Mahmoud Esma'il Sieny, **The Syntax of Urban Hijazi Arabic** (Beirut : Longman/Librairie du Liban, 1978).

تعد رسائل الدكتوراه التى يقدمها طلبة الدراسات اللغوية العربية الى الجامعات الاوربية والامريكية

مساهمة قيمة فى تطبيق النظريات اللغوية التحليلية والوصفية على اللغة العربية · والكتاب الذى بين ايدينا هو اول بحث — على ما نعلم — يستخدم مبادىء التحليل (التغميمى) Tagmemics فى دراسة نظام الجملة فى لهجة الحجاز الحضرية المعاصرة ، اى اللهجة المحكية فى مدن المنطقة الغربية فى المملكة العربية السعودية وهى مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة · فالمؤلف الفاضل درس النظريات اللغوية الحديثة فى جامعة جورج تاون فى واشنطن وتتلمذ فى التحليل التغميمى على رائد من رواد هذه المدرسة هو الدكتور والتركوك ، ثم كتب رسالته للدكتوراه التى هى اصل هذا الكتاب ·

ويقع الكتاب فى 207 صفحة وينقسم الى ثمانية فصول وقائمة بالمراجع تحتوى على اهم رسائل الدكتوراه التى تناولت اللغة العربية ولهجاتها الدارجة بحثا وتحليلا ، والفصل الاول بمثابة مقدمة يبين فيها المؤلف اهداف الدراسة، والمادة اللغوية التى استخدمها، وطريقة البحث التى اتبعها فى تحليلها ، وقائمة بالفونيمات القطعية للهجة الحجازية الدارجة · فالدراسة تنصب على نحو اللهجة الحجازية ، واستخدم المؤلف طريقة « الانصات الانتقائى » فى دراسة النصوص اللغوية التى سجلها لنفسه او لغيره من الناطقين بهذه اللهجة · ومن جدول الفونيمات القطعية (الوحدات الصوتية الاساسية) ، نجد ان للهجة الحجازية 27 صوتا ساكنا وثمانية من اصوات اللين ، وبذلك تفوق فى مجموعها عدد الفونيمات القطعية فى لهجات عربية اخرى ·

ويقدم الفصل الثانى تحليلا لاقسام الكلام فيقسمها الى اقسام رئيسة (الاسماء ، الصفاة ، الافعال ، الضمائر ، الاعداد) ، واقسام ثانوية هى الادوات ويتناول الفصل الثالث انواع الجمل فى اللهجة الحجازية· اما الفصل الرابع فيقدم تحليلا لانواع الجمل والعبارات فى اللهجة موضوع البحث · وتتناول الفصول الباقية بنية العبارات والقواعد التحويلية التوليدية التى تحكم استخلاص بعضها من بعض ·

ان هذا الكتاب يقدم نموذجا يحتذى فى تطبيق النظريات اللغوية الغربية المعاصرة على دراسة اللهجات العربية ، من اجل تزويدنا بفهم اشمل للغتنا الفصحى وعلاقاتها بالعاميات الدارجة ·

6 — محمد عنبر ، **جدلية الحرف العربى او ديالكتيك الالفاظ** (دمشق : طبعة اولية ، 1977)·

لعل الكتب التى تبحث فى فلسفة اللغة فى الوقت الحاضر هى اقل عددا من تلك الكتب التى تتناول نحو اللغة او نظامها الصوتى او الصرفى ·

وتتبنى آراء الاستاذ محمد عنبر الفلسفية اللغوية فى كتابه هذا على اساسين هما :

اولا : ان بناء الفكر وبناء المادة هو واحد ، ولهذا فان اللفظ الذى هو تعبير عن الفكر والشىء الذى يرمز اليه لهما بناء واحد كذلك ، والحركة فى الوجود تظهر فى الالفاظ على مثل ما هى عليه فى المادة ، ثانيا ، يرى القائلون بالجدل (الدياكلتيك) ان ضد كل شىء قائم فيه ، فالمؤشر يتضمن فى داخله المؤشر بحكم الضرورة ، وان السالب والموجب صنوان لا يفترقان ، وعلى هذا التضاد يقوم الوجود · واذا طبقنا هذا المبدأ على الالفاظ اللغوية وجدنا ان كل لفظ يحوى ضده فيه ، فاذا عكست الحروف جئت بعكس المعنى · فلفظ (س ب ح) ضد لفظ (ح ب س) ، وهذان اللفظان متضادان معنى وسبكا كتضاد (ع ل ق) و (ق ل ع) ·

ويرى الاستاذ محمد عنبر ان هذه الظاهرة اكثر شيوعا فى الالفاظ الثنائية الاصل ، لان الثنائى هو الاصل فى اللغة العربية ، اما الثلاثى فهو قائم على وجهة الثنائى الاصل · ومن هنا اصبحت حركة الجدل فى الثنائيات اوضح واجلى منها فى الثلاثيات ·

ويقع الكتاب فى 600 صحيفة ويتالف من ستة فصول تتناول موضوعات المعنى الاصلى ، والزمان والمكان بين الكم والكيف ، ومعنى الجدل · والحرية والضرورة ، وتشابه الاضداد ، والمعرفة وحركة الجدل· وتتم مناقشة هذه الموضوعات جميعها فى ضوء النظرية التى يستند اليها الاستاذ محمد عنبر ، مع ضرب امثلة كثيرة من اللغة العربية للتوضيح والتدليل ·

ولقد بعث المؤلف الفاضل بنسخ من كتابه هذا فى طبعته التجريبية الى عدد كبير من المرزين فى الدراسات اللغوية راجيا تزويده بآرائهم وملاحظاتهم عليه قبل اخراجه فى طبعة جديدة ·

على القاسمى